

النسق الثقافي في أدب جبران خليل جبران

The Cultural Pattern in Gibran Khalil Gibran's Literature

ط. د. أصالة القوي*

جامعة باتنة 1 ، assala.elgaoubi@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال	2021/07/02م	تاريخ القبول	2021/08/28م
---------------	-------------	--------------	-------------

ملخص

تناولت هذه الدراسة أدب جبران خليل جبران من حيث هو وثيقة ثقافية تجسد وعيه الأنطولوجي من خلال ممارساته الرمزية، وذلك بهدف الكشف عن الرؤى الكامنة في نصه الأدبي وبالتالي تموقع الإنسان في العالم، معرفة العلاقات الجزئية بين بنيات النص وعلاقتها بالكل الذي تنتهي إليه، اختبار قدرة الكاتب على استغلال طاقات الكلمة والمخيال الأدبي من أجل القبض على حقيقة العالم. ومن أبرز النتائج المتوصل إليها: نصوصه مرآة ثقافية لكل ما انصهر في بنيته الذهنية من فلسفات ومعتقدات دينية، ومؤثرات أدبية، كتب جبران بحثا عن الاتصال الروحي باللانهائي وتحررا من الزيف، كما أنه سعى إلى إنشاء دين جديد، هو دين الإنسان الكوني، وقال كلمته من وراء ستار. الكلمات المفتاحية: النسق الثقافي: الرومانسية: الرؤيا.

Abstract

The present research addresses the literature of Gibran Khalil Gibran as a cultural document embodying his ontological awareness through symbolic practices. It aims at revealing the potential visions in his literary text and thus, the position of man in the world; knowing the partial relationships between the text structures and their relationship to the whole to which they belong; testing the writer's ability to exploit the energies of the word and literary imagination in order to realize the truth of the world. The analysis of results reveals that Gibran's texts are a cultural mirror of all that fused into his mental structure, including philosophies, religious beliefs, and literary influences. He wrote an article about the spiritual connection to the infinite and freedom from the falsehood. Gibran strive to create a new religion which is the universal religion of man.

Keywords: Cultural pattern; romance; vision

* المؤلف المرسل

1. مقدمة

يعد النص الأدبي وثيقة رمزية مشفرة تبوح بمكنونات الكاتب التي كانت دافعه الأول للكتابة بحثا عن ذاته وعن الحقائق التي أرقته، محاولا الإجابة عن الأسئلة الأنطولوجية لتشكيل وعيه الرؤيوي بالوجود وغاياته، وأسباب الخلق ووظائف الإنسان، وعلاقاته؛ ويُخلق النص من تفاعل الواقع المعيش والراهن الحضاري مع المكون الثقافي للكاتب ومنطق روحه ومنظاره النقدي لكل ما هو سائد في مناخه الأدبي، من أجل بناء رؤيا جديدة للعالم وتموقع الإنسان فيه، ومن أجل تحديث العقل ومواكبة التطور المعرفي الحاصل وتحقيق النهضة الفعلية.

يجسد "جبران خليل جبران" (1883-1931م) نموذجا نهضويا داعيا إلى وثبة أدبية وثورة فكرية، لذلك تسعى هذه الدراسة إلى كشف وتحليل النسق الثقافي في نتاجه الأدبي لمعرفة مدى تحقق شروط هذه النهضة عنده؟ وهل أتقن جبران توظيف الارتحال اللغوي والخيال المجنح من أجل تحقيق المأمول ودفع عجلة سير النهضة العربية من خلال معرفته ومعتقده ورؤاه؟

2. النسق الثقافي

محاولة تقديم صورة واضحة عن أي مصطلح تجعلنا ننطلق من الجانب اللغوي لإضاءة المفاهيم، ثم تقديم القراءات المختلفة.

نجد النسق في لسان العرب: "نسق: النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء، وقد نسَّقه تنسيقا، ابن سيده: نسق الشيء يُنسِّقه نسقا ونسَّقه نظَّمه على السواء، وانتسق هو تناسق، والاسم النسق، وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت" (ابن منظور، د.ت، صفحة 628).

يبدو لنا مبدئياً أن النسق يدل على الاتساق والنظام وأن تجري الأمور
مجري واحداً مشتركاً.

كما نجد في المعجم الأجنبي (La rousse, 2017, p. 797):

1- دمج من خلال نظام، أُقيم بمنهج (طريقة) والتحقق المنهجي.
2 — تصرف بطريقة مجردة (جامدة) دون نظر إلى الظروف التي تعبر عن
هذا التصرف، الدغمائية، التعارض (التضاد) المنهجي.
أما مساءلة الجانب الاصطلاحي فتسفر عن عدة مفاهيم وتعريفات يمكن
أن نختار منها:

" 1 — (النسق) عند (م. فوكو) (M.FAUCAULT 1984/1926) علاقات،
تستمر تتحول: بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها.

2 - ويعمل (النسق) على بلورة منطق التفكير الأدبي في النص.

3 — كما يحدد (النسق) الأبعاد والخلفيات التي تعتمدها الرؤية. " (علواش،
1985م، صفحة 41)

النسق إذا ارتباط وانتظام وتلاحم، هو وعاء يحوي الخلفيات الفكرية
والرؤى والاستنتاجات في سلسلة مترابطة ذات لبنات تحتاج إلى دراسة وتحليل
من أجل استنتاجها. يقوم الدارس لها بالتفكيك والتحليل ثم إعادة التركيب
والبناء.

أما الشق المتصل بالثقافة فيمكن أن نجمله في قولنا إن الثقافة مخزون
معرفي وتراكم هائل يتشكل منذ ما قبل التعلم، منذ بداية النواة النفسية
والإدراكية للإنسان، يتواصل مع محيطه ويكتسب عاداته ويختبر تجارب جماعية
وفردية ...، كل هذا يهذب العقل ويقومه ويجعله مستعداً للاستقبال والتصنيف
والحكم.

وفي الجانب اللغوي: "ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة: حدّقه، رجل تُقْفُ وثقف: حاذق فهم، ابن السكيت: رجل ثقف لقف إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به" (ابن منظور، د.ت، صفحة 364)

الكاتب لا يخرج عن مكونه الثقافي والأثر الذي تركه فيه. فهو يبدع من خلاله، وينتج خدمة له، أدرك أم لم يدرك ذلك.

فهو حينما احتك ببيئته وتعلم داخل منظومته وتأثر بجوهر حضاري ومناخ فكري ما، لن يستطيع التنصل منه، ولا نعتقد أنه يريد ذلك أبدا؛ فكل إنسان يبحث في محيطه عن الأمان والثقة والانتماء، ويشعر بالفخر به والامتنان له.

يتجلى النسق الثقافي من خلال المضمرة التي يحملها النص الأدبي ويمررها إلى المتلقي من خلال تفاعل الأسلوب الذي اختاره الكاتب مع المضمون المعالج داخل هذا النص لتولد الرؤيا. وهو النسق الذي يقوم على ركائز متعددة لعل من أهمها الدين والإيديولوجيا والمعرفة والرؤى...

كل بنية في النص تقود إلى نسيج أكبر يسمح باستشفاف ما وراء النص، خاصة أن النصوص تشكل حلقة ربط بين الما قبل والما بعد، لأنها تنتج في ظل وجود نصوص سابقة لها، ثم تكون سببا في فتح آفاق لنصوص لاحقة لم تنتج بعد.

سنحاول هنا الكشف عن الرؤى الموجهة لأدب جبران خليل جبران وتحديد المنطلقات الفكرية له، ومدى إسهامها في اختيار نمط الكتابة الخاص به.

فالكاتب بالضرورة قد خلف موروثا أدبيا يشهد على الأنساق الكامنة داخله.

1.2 المعتقد

المعتقد الديني هو الركيزة الأولى في تكون الكاتب وتوجهاته الفكرية وانتماؤه، إذ أن الدين يمارس سلطة على من يؤمن به، وهي سلطة مرغوب بها ولها قداستها.

المعتقد الديني هو المتحكم في الإنسان أيكون في طبقة الإنسان المادي الطبيعي أم يختار طبقة الإنسان الإنساني الروحي، وقد يرتقي إلى المستوى اللاهوتي. "والدين قد لازم نشأة الحضارة، وبدا على أنه خصلة من الخصال التي تميز الفكر الإنساني، حتى أن من العسير، على ما يبدو، أن نفترض وجود مجتمع غابر خلو من التدين إلا إذا اعتبرناه متسما وأعضائه بالبلاهة أو العجز." (إلياد، 2009م، صفحة 12) لأن الإنسان في كل عصر يبحث عن خالقه وعن دوافع الخلق ليضفي على حياته قداسة ومعنا وهدفا ساميا.

جُبل الإنسان على حب التدين مهما كان هذا الدين إذ نجد الإنسان يبحث له عن دين يتبعه منذ القدم، فكان يجد في الظواهر الطبيعية وعناصر الكون غموضا لا يمكن تفسيره إلا بوجود آلهة وروح عظيمة لهذا الكون تسيره وتتولى شؤونه، وتوالت التفسيرات والاحتمالات حسب المقدرة الفكرية التي توصل إليها الإنسان الأول إرضاء لتساؤلاته الملحة حول هذا الكون وأسباب وجوده فيه، ومهامه الواجبة وحول خالقه. فكان لكل شعب إله يعبده وينسج حوله مختلف الأساطير والخرافات التي خلدت في الميراث العالمي الشعبي.

وهذا البحث المتواصل عن الجانب الديني في كل شيء غدى الروحانيات وأضفى نوعا من القداسة على كل تفاصيل يومه ومعيشته ببساطة أحداثها. وبالنسبة لجبران خليل جبران فعقيدته متجسدة في أدبه وفكره مستوحى من مسيحيتها، ولكن إيمانه العميق لم يجعله يقع في فخ التفسير الحرفي لتعاليم

الشرائع والكتاب المقدس، بل كان يضيف إليها من فكره وتجاربه وواقعه ما يراه جديرا، تعامل مع النص الديني على أنه نص مفتوح وحي في كل الأزمنة قابل للتجدد ومرحب بكل تفسير منطقي وروحي في آن واحد.

ومن أمثلة ما يدعم هذا القول في منجزاته: "...هو الذي أمه الأرض المعطاء ورب السماوات أبوه" (جبران، 2015م، صفحة 192).

وهي فكرة ترسخت في ذهنه منذ عهده بالدين المسيحي الذي يصور الأرض على أنها أم للبشر الذين أبوهم هو الإله، وتتشارك الأم والأب هاهنا في صفة المحبة والرحمة واللين، فالإله عندهم يدعو للمحبة والتسامح والعطف والرحمة (على خلاف ما كان عليه قبل ذلك في الفكر اليهودي الذي صور الإله في هيئة الغاضب الذي يدعو للخوف والانتقام).

"روح الإنسان هي قبس من روح خالقه، ولكن الإنسان جاهل بهذه الحقيقة، وهذا الجهل يبقى الروح أسيرة في دورة الحياة والموت، تنتقل من جسد إلى آخر إلى ما لا نهاية ولكن الإفلات من إسار هذه الدورة ممكن عندما تتوصل هذه الروح من خلال فعالية العرفان إلى اكتشاف أصلها وموطنها الحقيقي وتغدو مهينة للانعتاق". (السواح، الله والكون والإنسان (نظرات في تاريخ الأفكار الدينية)، 2016م، صفحة 181)

كذلك نجد في كتاباته تقاطعا مع سيرة يسوع من خلال الأحداث والأماكن والشخصيات التي يختارها، من ذلك:

"زوي لي في حدائتي عن مدينة كان الجميع فيها يحيون بموجب الكتاب المقدس فقلت في نفسي لأقصدن تلك المدينة والنعمة التي فيها. كانت بعيدة فأعددت للرحلة عدة عظيمة، بعد أربعين يوما أطلت على المدينة" (جبران، 2015م، صفحة 93).

"ومكث وحده في تلك الحديقة وذلك البيت أربعين نهاراً وأربعين ليلة، من غير أن يأتي إنسان ولا حتى إلى الباب" (جبران، 2015م، صفحة 700).

اختار جبران بطلاً يقضي أربعين يوماً في رحلته وآخر في وحدته كما قضاها يسوع عندما خضع للتجربة في البرية بعد أن عمده يوحنا المعمدان، ويمكن أن نقرأ الرحلة والمدينة الفاضلة على أنها رحلة الحياة وتجاربها والمدينة التي يحيا سكانها بوحى الكتاب المقدس هي الفردوس التي يسعى إليها جميع البشر، وما العدة التي أعدها إلا أعماله خلال رحلة حياته الأولى على الأرض البشرية. "وكان في صليبي مرضاتي". (جبران، 2015م، صفحة 104) وقوله: "صحت في الناس، بودي لو أصلب". (جبران، 2015م، صفحة 104) والآن أمضي كما مضى مصلوبون آخرون من قبل ولا يكونن في معتقدكم أننا سئمننا الصلب". (جبران، 2015م، صفحة 105).

والصلب هنا تضحية من أجل خلاص بني البشر، وتطهير أرواحهم من الدنس والخطايا ورغبة في مواجهة الموت واكتشاف عوامله المظلمة التي استترت عن الحياة. كما نجد أيضاً بعض التقاطعات في نصوص جبران مع ما جاء في الكتاب المقدس ومن ذلك احتفائه ب رقم (12) ورقم (7) في مثل قوله: "لبث المصطفى المختار الحبيب الذي كان فجراً لذاته، اثنتي عشرة سنة في مدينة أورفليس، ينتظر قدوم سفينته التي ستعود به الى جزيرة مولده. وفي السنة الثانية عشرة، وفي اليوم السابع من أيلول الذي هو شهر الحصاد". (جبران، 2015م، صفحة 171)

وقوله: "اثنتا عشرة سنة؟ أقلت اثنتي عشرة سنة يا كريمة؟ أنا لم أقس حنيني بمعايير الأفلاك". (جبران، 2015م، صفحة 696)

"المسافة التي تفصل بينك وبين المحبوب الساكن خلف سبع قارات وسبعة بحار". (جبران، 2015م، صفحة 704)

"مرت سبعة أنهار وسبعة ليالٍ من غير أن يقرب الحديقة إنسان" (جبران، 2015م، صفحة 725)

"دخلت ساحرة المدينة وألقت في البئر سبع نقاط من محلول غريب". (جبران، 2015م، صفحة 80)

ونحن نعلم أن تلاميذ "يسوع" كان عددهم اثنا عشر تلميذاً كما هو موضح في الكتاب المقدس: "ثم دعا تلاميذه الاثني عشرة وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض". (الكتاب المقدس، 2016م، صفحة 10:1) كذلك نجد هذا الرقم في: "وظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة متسريلة بالشمس، والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً". (الكتاب المقدس، 2016م، صفحة 12:1) أما رقم سبعة وهو عدد أيام خلق الكون حسب اليهودية القديمة فنجد في عدة مواقع من الكتاب المقدس أيضاً ومن ذلك: "ولما التفت رأيت سبع منابر من ذهب". (الكتاب المقدس، 2016م، صفحة 1:12) "ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب". (الكتاب المقدس، 2016م، صفحة 1:16) "من أين لنا في البرية خبز بهذا المقدار، حتى يشبع جمعاً هذا عدده؟ فقال لهم يسوع: كم عندكم من الخبز؟ فقلوا: سبعة وقليل من صغار السمك. فأمر الجموع أن يتكؤا على الأرض، وأخذ سبع من الخبزات والسمك، وشرع وكسر وأعطى تلاميذه، والتلاميذ أعطوا الجمع. فأكل الجميع وشبعوا. ثم رفعوا ما فضل من الكسر سبعة سلال مملوءة". (الكتاب المقدس، 2016م، الصفحات 15:33-37)

"اهبط إلينا وسكن جوعك بخبز من خبزنا، وأطفئ عطشك بخمرة من خمرنا". (جبران، 2015م، صفحة 257)

"أكل يسوع من زادنا كما اشرب من خمرا موزعا ابتسامته بيني وبين الآخرين". (جبران، 2015م، صفحة 351)

"فلا أستطيع أن أبصر هذه الخمرة، أو أسمع تغريدها، أو ألمس اصطفاق أجنحتها. أنا لست أبصر سوى الخمرة نفسها. فعلي إذن أن أشربها كي تشحذ حواسي وترفعني إلى أجوائكم الأثيرية". (جبران، 2015م، صفحة 142)

ويقصد بهذه الخمرة تلك النشوة التي يعيشها العارف الذي تغيبه تجربته الروحية عن العالم المادي. فینفلت من الزمان والمكان والجسد، لتطفو روحه في الأفق. كما أنها دلالة على دم المسيح الذي صلب فداء للبشر فتكون الخمرة إنشاء بالاندماج في روحه وروح الإله الأب. ومن ورود هذا الرمز في الإنجيل: "وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر، وأعطاهم وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم، فشرّبوا ومنها كلهم قال لهم: هذا هو دمي". (الكتاب المقدس، 2016م، صفحة 14:22:23) نجد كذلك أبطال جبران يتشبهون دوماً بالمسيح، ومن ذلك قوله "كرم أنا أيضا وأعنابي ستجمع هي الأخرى إلى المعصرة، وكالخمرة الجديدة سأحفظ في أوان أبدية". (جبران، 2015م، صفحة 194)

وهو ما نجده في الكتاب المقدس أيضا: "أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام، كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه، وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر". (الكتاب المقدس، 2016م، الصفحات 15:1-2)

إضافة إلى كتاب "يسوع ابن الإنسان" الذي يروي فيه جبران سيرة يسوع كما ارتاها هو وكما توصلت إليها مخيلته، فهي تمثل لسيرة السيد المسيح وليست سيرة حقيقية، أراد جبران من خلالها تجسيد فكرة أن النبي هو الإنسان، الإنسان الحقيقي حينما تكتمل إنسانيته ويتجرد من نوازع الشر والماديات

وسلطة الجسد والشهوات، يصبح الإنسان خارقاً وغير اعتيادي هو الإنسان الكوني الذي يمكن أن يكون نبياً.

نجد أيضاً قصة "لعازر وحبيبته" يصف فيها حال العبد الذي أعاده يسوع إلى الحياة بعد موته وبعثه من قبره وبعد أن عرف الحقيقة ورآها.

2.2 المعرفة

من المسيحيين من بحث عن المعرفة وتوسع فيها في تحليلاته وسعى طالباً الحقيقة في كل أبعاد هذا الكون، فتوغل في حقول الدين والعلاقات بين مخلوقات الكون وبينها وبين خالقها، لجأ إلى الحفر العميق في الركائز الدينية إرضاءاً للتساؤلات الملحة حول أسباب الخلق والغاية من الوجود وكيفية أداء العبادة وطقوس الحياة.... ونشأ بذلك مذاهب عدة وطوائف من بينها المذهب الغنوصي؛ وهو من بين أبرز المذاهب التي تولي اهتماماً كبيراً بالجانب الوجداني وبالحدس والأسرار الجوانية التي لا يمكن إدراكها إلا بإنعام النظر والتدبر.

"يفصل الغنوصي بين ثنائية الروح والمادة أو الجسد، وبين العالم الروحاني الذي يمثل الطهر والنبيل والسمو، والعالم لأنه متصل بالنور والمعرفة والخير" (السواح، موسوعة تاريخ الأديان (الزرادشسية، المانوية، اليهودية المسيحية)، 2018م، صفحة 280).

والنفس تتوق لمعرفة أصلها ومنشئها، وهذه المعرفة لا تعتمد على المنطق بل على تجارب وجدانية وروحانية تعتقها من قيود المادة والجسد إلى حرية الروح لتحس بنورانية الذات الإلهية.

لابد من التأكيد أن "في الوجود جانبا باطنا، لا مرئياً، مجهولاً، وأن معرفته لا تتم بالطرق المنطقية العقلانية، وأن الإنسان دونه، دون محاولة الوصول إليه، كائن ناقص الوجود والمعرفة، وأن الطرق إليها خاصة وشخصية" (أدونيس، السوربالية والصوفية، د.ت، صفحة 15)

والشرائع قد تكون في بعض الأحيان أحد العراقل أمام الكشف والمعرفة، ومن هنا لا يقف الغنوصي عند حدودها ولا يكتفي بالتطبيق الحرفي، فإدراكه بأن مصدر روحه نوراني متعالى يدفعه نحو السمو الروحاني لبلوغ الرقي والعودة إلى الأصل، فيؤمن بميلاد روحي متجدد.

إن التجربة الصوفية تجعل المتصوف يحيا في فضاء مفتوح لا حدود لا، فضاء داخلي وجداني، تستفز هذه التجارب أعمق مناطق الحس لتحدث أزمات وجودية ثم تعالجها وفقا لتصورها. يسعى الصوفي لاختراق حدود نفسه لبلوغ أسى درجات الرقي في سبيل الذات الإلهية العلوية. ومن أمثلة ذلك عند جبران: "إنكم كموكب تسيرون معا نحو ذاتكم الإلهية" (جبران، 2015م، صفحة 209). فهذه الذات واسعة لا انتهاء لها وهي من نور ولا تقبل إلا النور، وعلى الراغب فيها إن يطهر نفسه ويحيا على النور ليطنغى بعده الروحي على بعده العادي، فالتوق نحو السمو والعلو في اتجاه الذات العظمى موجود في كل إنسان، إلا أن الاختلاف يقبع في سبل السعي إليه، وفي درجة تحقيقه، والذات العملاقة هنا تتوحد مع الذات الساعية إليها.

أصبح جبران يرى من منظار غنوصي والتحم عنده الله بالإنسان والطبيعة فاختمت نظرتة الصوفية للحياة برومانسيته وتشكل لديه شوق إلى التحرر من العالم المحسوس إلى العالم الماورائي، فتورط في الحلولية ووحدة الوجود كما غاص في نظرية التقمص من أجل الكمال والالتحام بالإله.

تؤمن الرومانسية بالذات الفردية وتتطلع نحو العبقريات في القدرة على التعبير، ولا تقف أمام الإبداع بل تمنحه قوة ابتدائية تزيد من سرعته نحو الذروة. يشعر الرومانتيكي باغتراب وقلق دائمين وبكونه محاصرا أو مقيدا بمكان وحدود ضيقة، فيبحث عن الانطلاق والتحليق والإبداع، يتطلع نحو اللاهائي

(اللامكان واللازمان) يمتلك الفضاء والأزمنة والعصور، لأن روحه تنتقل وتعتبر العوالم لكنها لا تفتنى ولا تموت، روح متجددة الميلاد والأنبياء.

خضع الفكر الرومانسي لتحول في الوعي وانتقل من نمط فكري سائد إلى آخر رأى فيه تجسد آماله ومتطلباته الروحية بالرغم من أن الرومانسية حركة فضفاضة تسع عديدا من المتناقضات "فهي حرب وسلام، وفرح وحزن، وسعادة وبؤس... الخ، كما أنها الجمال والقبح والحياة والموت" (برلين، 2012م، صفحة 54).

كما لا نغفل عن أهم عنصر في الفكر الرومانسي وهو العلاقة مع الطبيعة، لا يتعامل معها إلا من خلال رمزياتها وبعدها الغيبي لا المادي، إذ يتواصل مع ما وراء الطبيعة ليلتقي بذاته هناك، ويعتبر نفسه امتدادا لها ولا يخضعها لقوانين العقلنة من أجل القبض عليها، بل للروحانيات والغيبيات، يتأملها ويؤنسها وقد يؤلمها في بعض الأحيان كنوع من التجاوز ليسمح لها بخلقه من جديد (خلق معنوي لا يتعدى العاطفة والخيال).

"لقد أصبح معروفا الآن. أن المعرفة، التي هي خلاصة الممارسات العقلية للإنسان، تتشكل ضمن أطر ثقافية وحضارية محددة، وتدخل في علاقة حوار ومثاقفة مع أطر ثقافية وحضارية أخرى، بسبب الحاجة، أو بفعل الاتصال، ومن ثم فالمعرفة تنتج أجهزة اصطلاحية، تستدعيها الحاجة المباشرة أو غير المباشرة في عملية التكوين المعرفي". (إبراهيم، 2010م، صفحة 129)

وجبران احتك وتواصل مع ثقافات مختلفة وبيئات حضارية متباينة انطلاقا من الحضارة والثقافة العربية، ثم الانجليزية والفرنسية، وهذا أثرى تنوع مشارب فكره وأخصب خياله ونهى قدراته وأعطى بعدا أوسع لمعرفته.

نستدل أيضا من خلال شخصية "المصطفى"، وهو نبي جبران، على نفوره من عالم تسيطر فيه القوة والغرائز والشهوات وتتسارع إيقاعاته، كما يحلم بعالم تسوده السكينة والوثام. ومن أمثلة ذلك:

"فقط عندما تكونون منشغلين بذواتكم الصغرى، تتوجهون إلى السماء التي تسمونها الله. كم هو حري بكم أن تجدو معابر إلى ذواتكم الأوسع." (جبران، 2015م، صفحة 715)

"كما أنني لا أستطيع أن أعلمكم صلاة البحار والغابات والقمم. أما أنتم يا مواليد الجبال والغابات والبحار، فإن هذه ستجد في قلوبكم صلاتها." (جبران، 2015م، صفحة 237).

"وهل الموت إلا أن يقف أحدنا عاريا في الريح وأن يستحيل ذوبا في الشمس." (جبران، 2015م، صفحة 248). "كسنديانة عتية مكسوة بأزاهير التفاح هو الإنسان الشاسع فيكم." (جبران، 2015م، صفحة 253)

"كان جبران يحلم بما هو أبعد من الحلم: بتغيير الحياة. وكان في هذا بشرتنا الأولى من أرض الشعر. هذه البشارة علمتنا كيف نشيع النفس الجمالي في كل ما حولنا وفي القيم جميعا، وكيف نذيب الفلسفة نفسها في الشعر، وحرضت الشاعر لكي يمارس قدراته، كصورة الله وكابن له، ولكي يقوم بمهمته الكاملة (كبذرة إلهية)، ودخلت فينا هاجسا يوسوس لنا ألا نرضى بغير الفريد، ويشعل في أعماقنا لهب البحث عنه خارج أنقاض الحياة والفكر" (أدونيس، مقدمة للشعر العربي، 1979م، صفحة 84)

يقوم المعتقد المسيحي على مبدأ المحبة والعطاء العاطفي بروح التسامح والمودة؛ ونجد جبران قد تحدث دائما عن الحب والمودة، ومن أمثلة ذلك:

"الحب لا وجود إلا بذاته، ولا يأخذ إلا من ذاته. الحب لا يملك شيئاً قط ولا يرضى أن يمتلك ذلك أن ما من حاجة للحب غير الحب (جبران، 2015م، صفحة 180)

كذلك قوله:

"أن تستريح ساعة الظهيرة، وتفكر في نشوة الحب"
(جبران، 2015م، صفحة 182)

وقوله كذلك:

"عندما يومئ الحب إليكم فاتبعوه،
رغم أن طرقه وعرة وممتنعة،
وعندما يضمكم بجناحيه استجيبوا للجناحين،

.....

وعندما يتكلم إليكم ثقوا بما يقول،

.....

كل هذا سيفعله الحب فيكم كي تعرفوا أسرار قلوبكم وتتألهوا بفضلك المعرفة، لأن تصبحوا فلذة من قلب الحياة" (جبران، 2015م، الصفحات 179-180)

وقد أوصى "يسوع" بإتباع منهج المحبة دائماً، وكانت هذه الوصية أولى وصاياها وثانيها لشدة أهميتها وتأكيدده عليها ولشد مالها من تأثير في نفس البشر والإله وابنه-حسب المعتقد المسيحي طبعاً-أعلم بما تحتاجه النفس البشرية، ونجد ذلك في الكتاب المقدس:

"أحب ربك بجميع قلبك وجميع نفسك وجميع ذهنك. الوصية الأولى والثانية مثلها، أحب قريبك حبك لنفسك بهاتين الوصيتين يرتبط كلام الشريعة كلها والأنبياء". (الكتاب المقدس، 2016م، الصفحات 40-35:22)

وفي: "وصية جديدة أنا أعطيتكم: أن تحبوا بعضكم بعضاً". (الكتاب المقدس، 2016م، صفحة 13:34)

كذلك: "سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات". (الكتاب المقدس، 2016م، الصفحات 45-43:5)

"وصية جديدة أنا أعطيتكم: أن تحبوا بعضكم بعضاً". (الكتاب المقدس، 2016م، صفحة 13:34)

ونحن نعلم أن فكر جبران لم يقتصر على الفكر المسيحي فقط، بل قد تخمرت في فكره مجموعة من المنظومات الفكرية المتعاقبة، وتفاعلت مع تجربته فكان نتاجه الأدبي صورة لهذا التفاعل.

والحب في التجربة الصوفية اتحاد للحبيين وانعتاق من قيد الجسد المحسوس نحو رحلة كشف للمعرفة.

والحب "وعي يولد إشراقاً بأن الإنسان يحيا في مستوى آخر من الوجود (وحدة الوجود)، بحيث يبدو أنه عضو في مجتمع إنساني من نوع آخر. يضاف إلى هذا حالة من النشوة الأخلاقية والعلو ومن الفرح، والسكر، حالة لا توصف ويقترن هذا كله بحدس الديمومة والخلود". (أدونيس، السورالية والصوفية، د.ت، صفحة 165)

كما تعتمد فلسفة جبران وفكره على الحياة الجوانية للإنسان، ويرى أن اللذة الحقيقية لا تكمن في الماديات والمحسوسات وفي الجسد، بل هي قابضة في غور الذات وداخل عمق الروح؛ ومما يدعم هذا القول في النص الجبراني: "أعندكم السلام، تلك القوة الدافعة التي تنم عما فيكم من عزم؟"

.....

أم عندكم الجمال الذي يقود القلب، من مجرد مقودات خشب أو حجر
إلى ذرى الجبل المقدس؟

.....

أم عندكم مجرد الرفاهية وشهوة الرفاهية، هذه الدخيلة المندسة التي
تدخل البيت ضيفة، فلا تلبث ان تصبح المضيضة ومن بعد سيدة المكان أجل إنها
تصبح المدججة التي تعمل بالصوت والكلاب إلى أمانيكم الكبرى فتتحول بها إلى
دمى متحركة.

فهي وإن تكن يداها حريرتين فإن قلبها من حديد.
تهدهد لكم كي تناموا، حتى إذا غفوتهم وقفت إلى جانب سريركم تهزأ بما
لأجسادكم من كرامة". (جبران، 2015م، صفحة 201)

وفي قوله:

"اللذة أغنية من أغاني الحرية
إنها ليست الحرية.
إنها من رغباتكم أزاهيرها
ولكنها ليست ثمار تلك الرغائب
إنها عمق ينده الى علو
إنها ليست العمق ولا العلو
إنها المقنوص يتخذ جناحا

إنها ليست المدى وقد أدخل القفص". (جبران، 2015م، صفحة 239)

ومن نماذج سيطرة رموز الطبيعة على النص الجبراني أيضا:
"وفي الحديقة تحت شجرة اللوز، وقفت في طريقها تبكي دون ان أعرف
لماذا؟". (جبران، 2015م، صفحة 700)

"يرتبي بنفسه على العشب تحت شجرة اللوز قرب البيت". (جبران، 2015م، صفحة 743)

"السنديانة الشامخة فوق الذرى". (جبران، 2015م، صفحة 440)

"كما أن السنديانة والسرورة لا تنمو واحدة منهما في ظل الأخرى". (جبران، 2015م، صفحة 184)

"إن الريح لا تكلم السنديان العالي بأرق مما تخاطب به وريقات الحشائش". (جبران، 2015م، صفحة 197)

"كسنديانة عتية مكسوة بأزاهير التفاح هو الإنسان الشاسع فيكم؟". (جبران، 2015م، صفحة 253)

نجد رمز الصمود والشموخ والقوة والعنفوان متجسد في روح السنديانة التي تعتر بنفسها، وبصلابة خشبها، وبأن لها القدرة على مجابهة الريح وقساوة المخاطر، كما أنها شجرة حنون تحوي بين أغصانها عائلات الطيور بكل حب وود، وهي في هذا مزدوجة المشاعر تشبه الإله في قوته وجبروته ورحمته وعطفه في أن، كما نجد رمزا اخر من رموز الطبيعة ويحمل الكثير من الدلالات. وله أيضا بعد ديني فهو في كل الديانات (السماوية والوضعية) عنصر التطهير والتجديد والنقاء؛ وجد الماء حسيم قبل البشر وكل المخلوقات وقد وهبها الحياة بعد ذلك ثم إنه رمز للإخصاب الكوني للأرض.

كما نجد البحر يدل على اللامكان واللاقرار، يحمل في أعماقه الخوف والارتباك من المجهول والمظلم، كما يحمل الاستبشار بمكنونات ثمينة وولادة متجددة، وحياة وأمل ونور.

ومن أمثلة وروده في نص جبران:

"تسلق التلة خارج أسوار المدينة وتطلع صوب البحر، فأبصر سفينته مقبلة في الضباب". (جبران، 2015م، صفحة 171)
كذلك:

"وأنت أيها البحر الرحيب. والأم التي لا تنام، أنت وحدك يا واهب السلام والحرية للنهر والجدول". (جبران، 2015م، صفحة 174)

و: "المحيط يضحك ودائما مع الأبرياء". (جبران، 2015م، صفحة 212)
"الموت والحياة متلازمان تماما، كتلازم النهر والمحيط". (الكتاب المقدس، 2016م، صفحة 247)

"الجدول قد بلغ البحر، وها إن الأم العظيمة تشد وليدها إلى صدرها من جديد". (الكتاب المقدس، 2016م، صفحة 259)

نجد أن جبران قد جعل من الماء رمزا للحياة الجديدة كلما انتهت حياة الإنسان، ولللامحدود واللانهائي، هو روح الإله العظيمة التي لا حدود لها، يعود الإنسان (النهر والجدول) إليها كلما ارتقت روحه في سلم المعرفة نحو العالم النور المتعالي.

كما يرمز البحر وعلاقته بالنهر إلى علاقة الصلة بين الله والإنسان والعالم في الفكر الصوفي؛ حيث إن "الصلة بين الله والعالم هي الصلة بين البحر والقطرة وما البحر إلا الله وما القطرة إلا العالم، ... والصلة الثانية هي صلة الظل بالشمس، فالعالم ما هو إلا ظل الله سبحانه وتعالى". (القطار، 2002م، الصفحات 83-84)

ورمز الشمس كثير الورد في كتابات جبران، ومن أمثلة ذلك:
"وعلى النسر وحيدا، ومن دون عشه، أن يخلق أمام وجه الشمس".
(جبران، 2015م، صفحة 257)

"بيتكم هو جسدكم الاكبر؟

هو ينمو في ضوء الشمس وفي سكينه الليل ينام". (جبران، 2015م، صفحة 200)

"حبذا لو كان فيكم أن تلاقوا الشمس والهواء بأجساد أكثر انكشافاً وأقل تستراً.

ذلك أن نفس الحياة هو نور الشمس". (جبران، 2015م، صفحة 203)

"كالشمس حتى هي ذاتك العلوية". (جبران، 2015م، صفحة 208)

"وها الله الآن يرفعنا على راحتيه، أنت شمس في يمينه وأنا أرض يسراه.

إلا أنك مشعا، لست أفضل مني متلقيا للشعاع".

ونحن شمسا وأرضا، لسنا غير البداية لشمس أعظم وأرض أهم".

(جبران، 2015م، صفحة 120)

"... والأرض من جهتها تمتص في هدأتها الحاملة أثناء صدر الشمس.

والشمس، كما هو شأنكم وشأني وشأن كل ما هو كائن؛

تجلس بالجلال نفسه إلى وليمة ذلك الأمير الذي بابه أبدا مفتوح ووليمته

أبدا قائمة". (جبران، 2015م، صفحة 711)

وبما أن الشمس ترمز للنور الذي يسطع على العالم وينيره هي عند جبران

النور الداخلي الذي تهدي به ذاته ومن خلاله إلى ذاتها والذات الكبرى للعالم،

وهي الحقيقة المطلقة التي يهب الإنسان حياته فداء لها، ورغبة في معرفتها، هي

السبيل للكشف والإشراق وإدراك المحجوب الخفي.

وقد "جاء في الديانات الشرقية القديمة أن الشمس تعطي الحياة وتحيي

الموتى وتوجه الكون، هي نور العالم، نور السماء والأرض، طاردة الظلام ومنسقة

دورة الليل والنهار، هي آلهة العدالة ووليدة الحق.

أشعتها تخترق العتمة فتفضح الأسرار.... أما في المسيحية فللشمس شأنها المعنوي: أبناء النور يسرون على طريق الخلاص، الوحي نور، ملائكة النور تدحر شياطين الظلام". (جبر، 1983م، صفحة 139)

وقد دمج جبران بين المعاني والدلالات المتعددة للشمس فمنها ما هو أسطوري مستلهم من المخيال الجماعي العالمي، ومنها ما هو متعلق بالمعتقد المسيحي الذي لا يفارق كتاباته أبدا.

3.2 الرؤيا

الأدب والفن لا يكونان إلا لتحقيق غايات وأهداف طالما سُعي إليها والفن مرتبط برابط خفي معنوي بالروح، هو القاعدة والركيزة التي تنطلق منها عملية بناء الروح "فالعمل الخالد هو صوت شخص آخر وهو تعبير يخصه وموقف قد اتخذه من الحياة." (برلين، 2012م، صفحة 122).

والأدب روح الكون لأنه المسؤول عن بناء الذائقة الفنية والتوجهات الفكرية، وعمق العاطفة وتحديد الرأي العام، وعن تمرير الرؤى. فالمبدع حين ينتج يقدم صورة عن محتوى ذهنه وفهمه للمرجعيات التي اختارها.

والتحام اللغة والأساليب والتراكيب والصيغ والرؤى، يحقق كشافا ويفتح آفاقا ويضيف تجاوزا يحققه النص الإبداعي بتميزه بأبعاد فنية جمالية وأخرى فكرية معرفية. "وهذه الرؤى التي تكون خارج إطار البصر وأكبر من الرؤية الحسية تجعل الشيء متحركا حيويا في نضج وتطور دائمين على مستوى المظهر والجوهر." (أدونيس، الثابت والمتحول (صدمة الحداثة) (ج3)، 1978م، صفحة 168)

تفصل الذات المبدعة عن العالم المادي لتحسن كشفه بل وتخترقه، فتتشكل لديها رؤيا حوله يبتثها المبدع في نتاجه، وحين يقدمها لا ينتظر من المتلقي قبولها على ما هي عليه بل هذا التقديم يحمل ضمنا طلبا بأن لا يكون سلبيا في

التلقي وأن يخترق الحواجز الوهمية التي تعيق الفكر في رحلة البحث عن جوهر الحياة.

وكل رؤيا يقدمها الكاتب أو المبدع ليست منجزا فرديا قد ابتكره، بل هي مجمل ما خبره من التجارب الحياتية وما انصهر داخل ذهنه من نتاج غيره، إضافة إلى المرجعيات التي تشبع بها منذ بداية تشكل الحس والفكر لديه. ومن أمثلة ذلك:

رؤية جبران للموت تختلف عن رؤية الإنسان العادي، حيث يجعل منه بداية جديدة لحياة لم تعش بعد؛ يموت الإنسان فينطلق نحو عالم الغيب الذي بحث عنه خلال حياته على الأرض دون ان يتمكن من فك رموزه وازالة غوامضه. ونجد في النص الجبراني هذه الفكرة بشكل متكرر، ومن ذلك:

"أ يكون يوم الفراق يوم تلاق؟"

وهل سيقال أنّ مسائي في واقع الأمر فجري؟ (جبران، 2015م، صفحة

(147)

كذلك في: "بودكم لو تعرفوا سر الموت.

ولكن كيف لكم أن تجدوه ما لم تفتشوا عنه في قلب الحياة!

.....

إذا شئتم حقا أن تتبينوا روح الموت، فافتحوا قلبكم على مداه لجسد

الحياة". (جبران، 2015م، صفحة 247)

"الحياة أتت من رحم الموت، والموت قابع في قلب الحياة، ولا بد للإنسان أن يحتويهما في قلبه معا متحدين. سأعود فأحيا بعد ان أموت، وسأود فأغني في أذانكم حتى بعد أن تكون موجة البحر التي بلا حدود قد عادت بي إلى لجة

الأعماق المهولة. سأعود فأجلس على مائدتكم ولو من غير جسد". (جبران، 2015م، صفحة 729)

"وفي الخريف عندما تجمعون عنا قيد كرومكم إلى المعصرة، وكالخمرة الجديدة سأحفظ في أوان أبدية". (جبران، 2015م، صفحة 194)

ومرت السنون، فمات رجل في سن متقدمة ودفن كما تدفن أي بذرة أو أي بلوطة". (جبران، 2015م، صفحة 600)

ووجود البذرة في هذا الموضوع يحيلنا مباشرة إلى فكرة التقمص التي آمن بها جبران والعودة الدائمة للروح لتتحيا في جسد آخر وتنبعث كما تنبعث النباتات من البذور في دورة حياة لا تنتهي.

وقد ارتبط فكره بالفناء بمعناه الصوفي إذ إنه مبنى على الاتحاد بروح الله المطلقة بعد الموت ومعرفة الحقيقة الكامنة في عالم الغيب الذي يبذل الأحياء كل ما في وسعهم دون أن يبلغوه، فهو مهم ولا سبيل إلى معرفته، وهو لا يخشى الموت أو يتهيبه أو يتعد عنه هرباً؛ لأنه يعتبر أن "الفناء هو زوال العائق وانمحاء الحجاب. وبالفناء يفقد الوجود تعييناته وتحديداته، وقيوده، ويعود إلى أصله- اللاتحديد، واللاتعيين، وبالفناء، إذن، يتم التطابق بين الحالة الذاتية للعارف، والحالة الموضوعية للعالم". (أدونيس، السورالية والصوفية، د.ت، صفحة 41)

وهذا ما يجعلنا نستشف تلك الروح الأثيرية التي سيطرت على كتابات جبران في حبها للموت أو طلبها له وحثها للناس على عدم الخوف من الموت وعلى عدم التعامل معه بالمفهوم القديم أو على أنه جمود وسكون؛ فالموت؛ حسب ما يراه جبران صحيحاً، ليس إلا حدساً صوفياً وبداية معنوية جديدة لرحلة الكشف وهذا المفهوم هو الطريقة المثلى لفهم جوهر الموت والحياة "وهي طريقه حياة، وطريقة معرفة في أن: بهذا الحدس نتصل بالحقائق الجوهرية، وبه نشعر أننا أحرار قادرون بلا نهاية. إنه يرفع الإنسان إلى ما فوق الإنسان ونشعر

بالارتفاع إلى ما فوق الإنسان. أننا نتخطى الزمن وقيوده، أننا حركة خالصة".
(أدونيس، مقدمة للشعر العربي، 1979م، صفحة 132)

وهذا الحدس الذي اعتمده جبران يقرب معنى الموت ويجعله مرادفاً للحياة حيث إن الموت هنا لا يعني النهاية، كما أنه يغير مفهوم الحياة، حيث أنها "لم تعد الحياة أن يعمر الإنسان طويلاً، وإنما صارت أن يعرف. الحياة اكتشاف ومعرفة. والمعرفة لا تتم إلا بالموت (أي بالاتحاد مع المطلق، بالعودة إلى الأصل)، فالموت إذن هو الحياة الحقيقية". (أدونيس، مقدمة للشعر العربي، 1979م، صفحة 133)

لقد فضل جبران أن يطرح فكره من خلال صوت غير اعتيادي، وليس من خلال صوته كجبران، أو ككاتب، أو أديب، أو بطل في قصة، ولكن كني له قوة خارقة تمتاز عن قوي كل البشر. قد كان النبي يتلقى وحياً من الله ثم ينقله إلى الناس، وهذا أكسبه مكانة خاصة وقدرة على التأثير، كما أن للنبي قدرات تجعله يستطيع أن يستشرف وينبئ بما سوف يحدث وتحقق نبوءاته لأنه مؤيد من الله تعالى.

"والنبي راء وسامع، لما لا يرى ولا يسمع، يرى المجهول والمستقبل ويسمع أصوات الغيب، وللنبوة مستويات". (أدونيس، الثابت والمتحول (صدمة الحداثة) (ج3)، 1978م، صفحة 16)

ولما اختار جبران صفة النبوة ليقول كلمته فقد خرج عن نطاق العالم المحسوس العادي إلى العالم الغيبي والقدرات الخاصة التي لا يملكها كثير من البشر.

ولكنه لم يلتزم بمفهوم النبي الذي نلاقه في جميع الديانات بوصفه شخصاً منفصلاً يتلقى وحياً ويقدمه إلى البشرية ويطبق ما جاء فيه ويشرح ما

استشكل عليهم منه، بل كان فعالاً في هذا العالم وقد حاول أن يشارك الإله في تسيير هذا الكون وفي سن الشرائع والقوانين والتعامل مع الديانات لا من حيث الأوامر والنواهي بل من حيث روح الشرائع.

"جبران بهذا المعنى يطرح نفسه كنبى للحياة الإنسانية بوجهها الطبيعي والغيبى، لكن دون تبليغ رسالة الهيئة معينة. والفرق بين النبوة الإلهية والنبوة الجبرانية هي إن النبى في الأولى ينفذ إرادة الله المسبقة، الموحاة، ويعلم الناس ما أوحى له، ويقنعهم به.

أما جبران، فيحاول، على العكس، أن يفرض رؤياه الخاصة على الأحداث والأشياء، أي وحيه الخاص". (أدونيس، الثابت والمتحول (صدمة الحداثة) (ج3)، 1978م، صفحة 165)

ولما أغرق جبران في العالم الروحاني تغيرت علاقة الإنسان بالله فأصبح يبتكر ومسافات ليس بالضرورة أن تتلاءم مع الشرائع والديانات التي عهدها البشر بل يكفي أن تشعر روحه بالانسجام معها وتطمئن وتستكين إليها.

"أ — لم يعد الإنسان عبداً لله ولا خاضعاً له، أي لم تعد علاقته به علاقة عبد بسيد.

ب - لم تعد هذه العلاقة علاقة مخلوق بخالق.

ج - ولم تعد علاقة ابن بأب.

د - ولم يعد الله يجيء من الماضي، بل من المستقبل.

هـ — هكذا أصبح الله والإنسان كيانا واحداً بمظهرين: الله غد الإنسان، الإنسان عرق والله زهرة العرق، وهما ينموان معا أمام وجه الشمس". (أدونيس، الثابت والمتحول (صدمة الحداثة) (ج3)، 1978م، صفحة 173)

3. خاتمة

حاولت هذه الدراسة التعامل مع نموذج الفكر النهضوي العربي من خلال "جبران خليل جبران" بوصفه ظاهرة بفرنه وأدبه الذي يدعو للتحرر من الزيف والشوائب العالقة منذ أمد بعيد في الذاكرة والمخيال العربيين، وقد سعت لفك شفرات النظام الرمزي الذي اعتمده من أجل معرفة كوامن نصوصه الكونية التي ضمننت لفكره الخلود والقدرة على التأثير في المشهد الأدبي عربيا وعالميا. وبعد التحليل الذي تمّ أعلاه فإن البحث خلص إلى جملة من النتائج أهمّها:

— عالج جبران أفكاره وآراءه من وراء ستار حين اختار أن تقال كلمته على لسان بطل غير اعتيادي كالمجنون والسابق والتائه والنبى، لعلمه أن الإنسان العادي لن يقول إلا كلمة عادية، بينما يقول من له قدرة على اختراق العوالم الخفية، والالتقاء بقوى فاعلة في العالم وبأرواح خارج هذا العالم، كلمة ذات ثقل وحكمة وتأثير.

— تصور جبران للعالم بعلاقاته مبني على علاقة المشابهة لأنها الأنسب للمذهب الرومانسي المرتكز على الاستعارات والمجازات في مفهومها الواسع وليس الإجرائي.

— تورط جبران في الفكر الحلولي لإيمانه بمبدأ وحدة الوجود وإلغاء كل المسافات بين الخالق والمخلوق ونلاحظ لديه ارتباكاً ينتج عن الاجتذاب من طرف منظومات فكرية وثقافية مختلفة المرجعيات، إلا أنه حاول التوفيق بينهما بشكل توليفي يؤمن بازدواجية المرجعيات.

— حاول جبران صياغة دين جديد يتوق إلى العالم العلوي الطاهر، وهذا ما جعله يسعى لهدم فكر سائد حول الشرائع وبناء فكر جديد تكون الطبيعة

فيه امتدادا للإنسان وتجسيدها له، ويلتقي الإنسان وامتداده مع خالقهم في نقطة واحدة هي مبدأ وحدة الوجود.

حاول جبران الإجابة عن الأسئلة الأنطولوجية الكبرى من خلال ثنائيات منها:

- الموت والحياة.

- الشر والخير.

- الجسد والروح.

- المخلوق والخالق.

- الظاهر والباطن.

4. قائمة المراجع

1. ابن منظور. (د.ت). *لسان العرب*، (مجلد3) (د.ط.). (عبد الله العلايلي، المحرر) بيروت: دار لسان العرب.
2. أدونيس. (1978م). *الثابت والمتحول (صدمة الحداثة) (ج3) (ط.1)*. بيروت: دار العودة.
3. أدونيس. (1979م). *مقدمة للشعر العربي (ط.3)*. بيروت: دار العودة.
4. أدونيس. (د.ت). *السوريالية والصوفية (ط.3)*. بيروت: دار الساقى.
5. إزايا برلين. (2012م). *جذور الرومانتيكية*. (ط.1). (سعود السويداء، المترجمون) الكويت: جداول للنشر.
6. *الكتاب المقدس (ط.3)*. (2016م). القاهرة: دار الكتاب المقدس.
7. جبران خليل جبران. (2015م). *المؤلفات الإنجليزية الكاملة معربة (المجنون، النبي، حديقة النبي)*. (د.ط.). (نديم نعيمة، المترجمون) بيروت: هاشيت أنطوان.
8. جميل جبر. (1983م). *جبران في عصره وآثاره الأدبية والفنية (ط.1)*. لبنان: نوفل.
9. سعيد علواش. (1985م). *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (ط.1)*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
10. عبد الله إبراهيم. (2010م). *الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة (ط.1)*. الرباط: دار الأمان.
11. فراس السواح. (2016م). *الله والكون والإنسان (نظرات في تاريخ الأفكار الدينية) (ط.1)*. دمشق: دار التكوين.

12. فراس السواح. (2018م). موسوعة تاريخ الأديان (الزرادشية، المانوية، اليهودية المسيحية). (ط.3). (عبد الرزاق العلي، ومنقذ الهاشمي، المترجمون) دمشق: دار التكوين.
13. فريد الدين العطار النيسابوري. (2002م). منطق الطير. (د.ط.). (بديع محمد جمعة، المترجمون) بيروت: دار الأندلس.
14. ميرسيا إلياد. (2009م). المقدس والعادي. (د.ط.). (عادل العوا، المترجمون) بيروت: دار التنوير.
15. La rousse. (2017). Paris.